@ 529 @ ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين * فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين) ^ أي : واذكر عبدنا ورسولنا ، أيوب مثنيا معظما له ، رافعا لقدره ، حين ابتلاه ، ببلاء شديد ، فوجده صابرا راضيا عنه ، وذلك أن الشيطان سلط على جسده ، ابتلاء من ا ، وامتحانا فنفخ في جسده ، فتقرح قروحا عظيمة ومكث مدة طويلة ، واشتد به البلاء ، ومات أهله ، وذهب ماله ، فنادى ربه قائلا رب : ^ (إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين) ^ . فتوسل إلى ا بالإخبار عن حال نفسه ، وأنه بلغ الضر منه كل مبلغ ، وبرحمة ربه الواسعة العامة استجاب ا له ، وقال : ^ (اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب) ^ فركض برجله ، فخرجت من ركضته عين ماء باردة ، فاغتسل منها وشرب ، فأذهب ا عنه ما به من الأذى . ^ (وآتيناه أهله) ^ أي : رددنا عليه أهله وماله . ^ (ومثلهم معهم) ^ بأن منحه ا العافية ، ومن الأهل والمال شيئا كثيرا . ^ (رحمة من عندنا) ^ به ، حيث صبر ورضي ، فأثابه ا ثوابا عاجلا ، قبل ثواب الآخرة . ^ (وذكرى للعابدين) ^ أي : جعلناه عبرة للعابدين ، الذين ينتفعون بالصبر ، فإذا رأوا ما أصاب أيوب عليه السلام من البلاء ، ثم ما أثابه ا بعد زواله ، ونظروا السبب ، وجدوه ، الصبر ، ولهذا أثنى ا عليه به في قوله : ^ (إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب) ^ ، فجعلوه أسوة وقدوة ، عندما يصيبهم الضر . ^ (وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين * وأدخلناهم في رحمتنا إنهم من الصالحين) ^ أي : واذكر عبادنا المصطفين ، وأنبياءنا المرسلين بأحسن الذكر ، وأثن عليهم ، أبلغ الثناء ، إسماعيل بن إبراهيم ، وإدريس ، وذا الكفل ، نبيين من أنبياء بني إسرائيل ^ (كل) ^ من هؤلاء المذكورين ^ (من الصابرين) ^ ، والصبر هو : حبس النفس ومنعها ، مما تميل بطبعها إليه ، وهذا يشمل أنواع الصبر الثلاثة : الصبر على طاعة ا ، والصبر عن معصية ا ، والصبر على أقدار ا المؤلمة ، فلا يستحق العبد اسم الصبر التام ، حتى يوفي هذه الثلاثة حقها . فهؤلاء الأنبياء ، عليهم الصلاة والسلام ، قد وصفهم ا بالصبر ، فدل أنهم وفوها حقها ، وقاموا بها ، كما ينبغي ، ووصفهم أيضا بالصلاح ، وهو يشمل صلاح القلب ، بمعرفة ا ومحبته ، والإنابة إليه كل وقت ، وصلاح اللسان ، بأن يكون رطبا من ذكر ا ، وصلاح الجوارح ، باشتغالها بطاعة ا وكفها عن المعاصي . فبصبرهم وصلاحهم ، أدخلهم ا برحمته ، وجعلهم مع إخوانهم من المرسلين ، وأثابهم الثواب العاجل والآجل . ولو لم يكن من ثوابهم ، إلا أن ا تعالى نوه بذكرهم في العالمين وجعل لهم لسان صدق في الآخرين ، لكفى بذلك شرفا وفضلا . ^ (وذا

النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إل ه إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين * فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننج ي المؤمنين) ^ أي : واذكر عبدنا ورسولنا ذا النون وهو : يونس ، أي : صاحب النون ، وهي الحوت ، بالذكر الجميل ، والثناء الحسن ، فإن ا تعالى أرسله إلى قومه ، فدعاهم ، فلم يؤمنوا ، فوعدهم بنزول العذاب بأمد سماه لهم . فجاءهم العذاب ورأوه عيانا ، فعجوا إلى ا ، وضجوا وتابوا ، فرفع ا عنهم العذاب كما قال تعالى : ^ (فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين) ! 2 2 ! (وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون ، فآمنوا فمتعناهم إلى حين) ^ . وهذه الأمة العظيمة ، الذين آمنوا بدعوة يونس ، من أكبر فضائله ، ولكنه عليه الصلاة والسلام ، ذهب مغاضبا ، وأبق عن ربه لذنب من الذنوب ، التي لم يذكرها ا لنا في كتابه ، ولا حاجة لنا إلى تعيينها لقوله . ^ (إذ أبق إلى الفلك . . . وهو مليم) ^ أي : فاعل ما يلام عليه ، وظن أن ا ، لا يقدر عليه ، أي : يضيق عليه في بطن الحوت ، أو ظن أنه سيفوت ا تعالى ، ولا مانع من عروض هذا الظن للكل من الخلق على وجه لا يستقر ، ولا يستمر عليه ، فركب في السفينة مع أناس ، فاقترعوا ، من يلقون منهم في البحر ؟ لما خافوا الغرق إن بقوا كلهم ، فأصابت القرعة يونس ، فالتقمه الحوت ، وذهب فيه إلى ظلمات البحار ، فنادى في تلك الظلمات : ^ (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) ^ ، فأقر تعالى بكمال الألوهية ، ونزهه عن كل نقص ، وعيب ، وآفة ، واعترف بظلم نفسه وجنايته . قال ا تعالى : ^ (فلولا أنه كان من المسبحين ، للبث في بطنه إلى يوم يبعثون) ^ . ولهذا قال هنا :